الحسن والله ما يقدر العباد قدر حرها دونيا لو ان رجلا كان بالمشرق وجهنم بالمغرب ثم كشف عن غطاء واحد منها لغلت
جمجمته ولو ان دلوا من صديدها صب في الارض ما بقي على وجهها شيء فيه روح الا مات كان الاحنف يصلي صلاة الليل ويضع
المصباح قريبا منه فيضع اصبعه عليه ويقول يا حنيف ما حملك على ما صنعت يوم كذا حتى يصبح ثم نهاهم عن التفرق في
دين الله وهو الاختلاف والفرقة ثم امرهم باجتماع الكلمة وقال ان في الحق المكروه اليكم خير لكم من الفرقة في الباطل المحبوب
عندكم فان الله لم يعط احدا خيرا بالفرقة لا ممن مضى ولا ممن بقي وقد تقدم ذكر ما ورد عن النبي صلى الله عليه وآله في الامر
بلزوم الجماعة والنهي عن الاختلاف والفرقة ثم امرهم بالعزلة ولزوم البيت والاشتغال بالعبادة ومجانبة الناس ومتاركتهم
واشتغال الانسان بعيب نفسه عن عيوبهم وقد ورد في العزلة اخبار وآثار كثيرة واختلف الناس قديما وحديثا فيها ففضلها
قوم على المخالطة وفضل قوم المخالطة عليها فممن فضل العزلة سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطائي
والفضيل بن عياض وسليمن الخواص ويوسف بن اسباط وبشر الحافي وحذيفة المرعشي وجمع كثير من الصوفية وهو مذهب
اكثر العارفين وقول المتالهين من الفلاسفة وممن فضل المخالطة على العزلة ابن المسيب والشعبي وابن ابي ليلى وهشام
بن عروة وابن شبرمة والقاضي شريح وشريك بن عبد الله وابن عيينة وابن المبارك فاما كلام امير المؤمنين عليه السلم
فيقتضي عند انعام النظر فيه ان العزلة خير لقوم وان المخالطة خير لقوم آخرين على حسب احوال الناس واخلاقهم وقد احتج
ارباب المخالطة بقول الله تعالى والف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته اخوانا وبقوله ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا وهذا
ضعيف لان المراد بالآية تفرق الآراء واختلاف المذاهب في اصول الدين والمراد بتاليف القلوب وبالاخوة عدم الاحن
والاحقاد بينهم بعد استعار نارها في الجاهلية وهذا امر خارج عن حديث العزلة واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وآله المؤمن
الف مالوف ولا خير فيمن لا يالف ولا يؤلف وهذا ايض ضعيف لان المراد منه ذم سوء الخلق والامر بالرفق والبشر فلا
يدخل تحته الانسان الحسن الخلق الذي لو خولط لالف وألف وانما يبغيه من المخالطة طلب السلامة من الناس واحتجوا
بقوله من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الاسلام عن عنقه وهذا ضعيف ايض لانه مختص بالبغاة والمارقين عن
طاعة الاسلام فلا يتناول اهل العزلة الذين هم اهل طاعة للائمة الا انهم لا يخالطون الناس واحتجوا بنهيه صلى الله
عليه وآله عن هجر الانسان اخاه فوق ثلاث وهذا ضعيف لان المراد منه النهي عن الغضب واللجاج وقطع الكلام والسلم
لثوران الغيظ فهذا امر خارج عن الباب الذي نحن فيه واحتجوا بان رجلا اتى جبلا ليعبد فيه فجاء اهله الى رسول الله صلى الله عليه وآله
فنهاه وقال له ان صبر المسلم في بعض مواطن الجهاد يوما واحدا خير له من عبادة اربعين سنة وهذا الحديث ضعيف لانه
انما كان ذلك في ابتداء الاسلام والحث على جهاد المشركين واحتجوا بما روي عنه صلى الله عليه وآله انه قال الشيطان ذئب الانسان
كذئب الغنم ياخذ القاصية والشاذة اياكم والشعاب وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا ضعيف لان المراد به
من اعتزل الجماعة وخالفها واحتج من رجح العزلة وآثرها على المخالطة بالآثار الكثيرة الواردة في ذلك نحو قول عمر خذوا
بحظكم من العزلة وقول ابن سيرين العزلة عبادة وقول الفضيل كفى بالله محبوبا وبالقران مؤنسا وبالموت واعظا اتخذ الله
صاحبا ودع الناس جانبا وقال ابو الربيع الزاهد لداود الطائي عظني فقال صم عن الدنيا واجعل فطرك للآخرة وفر من
الناس فرارك من الاسد وقال الحسن كلمات احفظهن من التوراة قنع ابن آدم فاستغنى اعتزل الناس فسلم ترك
الشهوات فصار حرا ترك الحسد فظهرت مروته صبر قليلا فتمتع طويلا وقال وهيب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء
تسعة منها في الصمت والعاشر في العزلة عن الناس وقال يوسف بن مسلم لعلي بن بكار ما اصبرك على الوحدة وكان قد
لزم البيت فقال كنت وانا شاب اصبر على امر من هذا كنت اجالس الناس ولا اكلمهم وقال الثوري هذا وقت السكوت
وملازمة البيوت وقال بعضهم كنت في سفينة ومعنا شاب علوي فمكث معنا سبعا لا نسمع له كلاما فقلنا له قد
جمعنا الله واياك منذ سبع ولا نراك تخالطنا ولا تكلمنا فانشد قليل الهم لا ولد يموت ولا امر يحاذره يفوت قضى وطر
الصبا وافاد علما فغايته التفرد والسكوت واكبر همه مما عليه تناجز من يرى خلق وفوت وقال النخعي لصاحب له تفقه
ثم اعتزل وكان مالك بن انس الفقيه يشهد الجنائز ويعود المرضى ويعطي الاخوان حقوقهم ثم ترك واحدا واحدا من ذلك

الى ان ترك الجميع وقال ليس يتهيا للانسان ان يخبر بكل عذر له وقيل لعمر بن عبد العزيز لو تفرغت لنا فقال ذهب الفراغ فلا
فراغ الا عند الله تعالى وقال الفضيل بن عياض اني لاجد للرجل عندي يدا اذا لقيني ان لا يسلم علي واذا مرضت ان لا
يعودني وقال الداراني بينا ابن خثيم جالسا على باب داره اذ جاء حجر فصك وجهه فشجه فجعل يمسح الدم ويقول
لقد وعظت يا ربيع ثم قام فدخل الدار فما جلس بعد ذلك على بابه حتى مات وكان سعد بن ابي وقاص وسعيد بن زيد
قد لزما بيوتهما بالعقيق فلم يكونا ياتيان المدينة لا لحاجة لهما ولا لغيرهما حتى ماتا بالعقيق وقال بشر اقلل من معرفة الناس
فانك لا تدري ما يكون يوم القيامة فان يكن فضيحة كان من يعرفك اقل واحضر بعض الامراء حاتما الاصم وكلمه
ثم قال له الك حاجة قال نعم قال وما هي قال ان لا تراني ولا اراك وقيل للفضيل ان ابنك يقول لوددت اني في مكان ارى
الناس ولا يروني فبكى الفضيل وقال يا ويح علي الا اتمها فقال ولا اراهم ومن كلام الفضيل ايضا من سخافة عقل الرجل
كثرة معارفه وقد جاء في الاحاديث المرفوعة ذكر العزلة وفضلها نحو قوله صلى الله عليه وآله لعبد الله بن عامر الجهني
لما ساله عن طريق النجاة فقال له ليسعك بيتك امسك عليك دينك وابك على خطيئتك وقيل له صلى الله عليه وآله
اي الناس افضل فقال رجل معتزل في شعب من الشعاب يعبد ربه ويدع الناس من شره وقال عليه السلام ان الله
يحب التقي الخفي وفي العزلة فوائد منها الفراغ للعبادة والذكر والاستيناس بمناجاة الله عن مناجاة الخلق فيتفرغ لاستكشاف
اسرار الله تعالى في امر الدنيا والآخرة وملكوت السموات والارض لان ذلك لا يمكن الا بفراغ ولا فراغ مع المخالطة ولذلك
كان الرسول صلى الله عليه وآله في ابتداء امره يتبتل في جبل حراء ويعتزل فيه حتى اتته النبوة وقيل لبعض الحكماء ما
الذي ارادوا بالخلوة والعزلة فقال دوام الفكر وثبات العلوم في قلوبهم ليحيوا حياة طيبة ويموتوا موتا طيبا وقيل
لبعضهم ما اصبرك على الوحدة فقال لست وحدي انا جليس ربي اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت
ان اناجيه صليت وقال سفيان بن عيينة لقيت ابرهيم بن ادهم في بلاد الشام فقلت له يا ابرهيم تركت خراسان فقال
ما تهنات بالعيش الا ههنا افر بديني من شاهق الى شاهق فمن رآني قال موسوس او حمال وقيل للحسن يا ابا سعيد
ههنا رجل لم نره قط جالسا الا وحده خلف سارية فقال الحسن اذا رايتموه فاخبروني فنظروا اليه ذات يوم فقالوا للحسن
واشاروا اليه فمضى نحوه وقال له يا عبد الله لقد حببت اليك العزلة فما يمنعك من مجالسة الناس فقال امر شغلني عنهم قال
فما يمنعك ان تاتي هذا الرجل الذي يقال له الحسن فتجلس اليه قال امر شغلني عن الناس وعن الحسن قال وما ذلك
الشغل رحمك الله قال اني امسي واصبح بين نعمة وذنب فاشغل نفسي بشكر الله على النعمة والاستغفار من الذنب فقال
الحسن انت افقه عندي يا عبد الله من الحسن فالزم ما انت عليه وجاء هرم بن حيان الى اويس فقال له ما جاء بك
قال جئت لانس بك قال ما كنت اعرف احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال الفضيل اذا رايت الليل مقبلا فرحت به وقلت
اخلو بربي واذا رايت الصبح ادركني استرجعت كراهية لقاء الناس وان يجيء الي من يشغلني عن ربي وقال مالك بن دينار
من لم يانس بمحادثة الله عن محادثة المخلوقين فقد قل علمه وعمي قلبه وضاع عمره وقال بعض الصالحين بينا انا اسير في
بعض بلاد الشام اذا انا بعابد خارج من بعض تلك البلاد فلما نظر الي تنحى الى اصل شجرة وتستر بها فقلت سبحان
الله ابخلت علي بالنظر اليك فقال يا هذا اني اقمت في هذا الجبل دهرا طويلا ولكن قلبي في الصبر عن الدنيا واهلها فطال
في ذلك تعبي وفني عمري ثم سالت الله تعالى ان لا يجعل حظي من ايامي في مجاهدة قلبي فقط فسكنه الله عن الاضطراب
والفه الوحدة والانفراد فلما نظرت اليك تريدني خفت ان اقع في الامر الاول واعود الى الف المخلوقين فاليك عني
فاني اعوذ من شرك برب العارفين وحبيب التائبين ثم صاح وا غماه من طول المكث في الدنيا ثم حول وجهه عني
ثم نفض يده وقال اليك عني يا دنيا لغيري فتزيني واهلك فغري ثم قال سبحان من اذاق العارفين من لذة الخدمة
وحلاوة الانقطاع اليه ما الهى قلوبهم عن ذكر الجنان والحور الحسان فاني في الخلوة انس بذكر الله واستلذ بالانقطاع الى
الله ثم انشد واني لاستغشي وما بي نعسة لعل خيالا منك يلقى خياليا واخرج من بين البيوت لعلني احدث
عنك النفس في السر خاليا وقال بعض العلماء انما يستوحش الانسان عن نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة فيكثر حينئذ